

ديوان الحلاّج

جمع المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون

القسم الأول

حلاّجيات

القصيدة الأولى: التلبية

لبّيكَ لبّيكَ يا سرّي و نجوائـــــــي   لبّيك لبّيك يا قصدي و معنائـــي
أدعوك بلْ أنت تدعوني إليك فهــلْ   ناديتُ إيّاك أم ناجيتَ إيّائــــــــي
يا عين عين وجودي يا مدى هممي   يا منطقي و عباراتي و إعيائـــي
يا كلّ كلّي يا سمعي و يا بصري   يا جملتي و تباعيضي و أجزائي
يا كلّ كـــلّي و كلّ الكـــل ملتبس   و كل كـــلّك ملبوس بمعنائــــــي
يا من به عُلقَتْ روحي فقد تلفت   وجدا فصرتَ رهينا تحت أهوائي
أبكي على شجني من فرقتي وطني   طوعاً و يسعدني بالنوح أعدائـــي
أدنو فيبعدني خوف فيقلقنـــــــي   شوق تمكّن في مكنون أحشائـــي
فكيف أصنع في حبّ كَلِفْتُ به   مولاي قد ملّ من سقمي أطبّائـــي
قالوا تداوَ به منه فقلت لهــم   يا قوم هل يتداوى الداء بالدائـــي
حبّي لمولاي أضناني و أسقمني   فكيف أشكو إلى مولاي مولائـــي
اّني لأرمقه و القلب يعرفـــه   فما يترجم عنه غير ايمائــــــــي
يا ويحَ روحي من روحي فوا أسفي   عليَّ منّي فإنّي اصل بلوائــــــــي
كانّني غَرق تبدو أناملـــــــه   تَغوثّاً و هو في بحر من المـــاء
وليس يَعْلَم ما لاقيت من احدٍ   إلا الذي حلَّ منّي في سويدائـــي
ذاك العليم بما لاقيت من دنفٍ   و في مشيئتِه موتي و إحيائــــــي
يا غاية السؤل و المأمول يا سكني   يا عيش روحي يا ديني و دنيائي
قُلْ لي فَدَيْتُكَ يا سمعي و يا بصري   لِمْ ذا اللجاجة في بُعدي و إقصائي
إن كنتَ بالغيب عن عينيَّ مُحْتَجِباً   فالقلب يرعاك في الأبعاد و النائي

***

القصيدة الثانية: جواب في حقيقة الإيمان

للعلم أهلٌ و للإيمان ترتيـــــــب   و للعلـــــــــــوم و أُهلِيها تجاريب
و العلم علمان منبوذ و مكتســـــب   و البحر بحران مركوب و مرهوب
و الدهر يومان مذموم و ممتـــــدح   و الناس اثنان ممنوح و مسلـــــوب
فاسَمعْ بقلبك ما يأتيك عن ثقـــــةٍ   و انظرْ بفهمك فالتمييز موهـــــوب
إني ارتقيتُ إلى طودٍ بلا قـــــدمٍ   له مَراقٍ على غيري مصاعيـــــب
و خُضْتُ بحراً و لم يرسب به قدمي   خاضَتْهُ روحي و قلبي منه مرغــوب
حَصْبَاؤُه جوهرٌ لم تَدْنُ منـــه يـــدٌ   لكـــنه بيَدِ الأفهـــام منهـــــوب
شربتُ من مائــــه رَياً بغير فــــم   و الماء قد كان بالأفواه مشـــــروب
لأن روحي قديماً فيه قدْ عطشـــتْ   و الجسم [ما] ماسَهُ من قبل تركيـــب
إنـــي يتيمٌ و لي أبٌ أَلوُذ بــــــه   قلبـــي لِغيْبَتِه ما عشـــْـتُ مكروب
أعمى بَصيرٌ و إنـــي أبْلَه فَطِـــنٌ   و لـــي كلام إذا ما شئتُ مقلـــوب
ذُوِ فَتَا عرفوا [ما] قد عرفت فَهْـمُ   صَحْبِيَ ومن يُحْظ بالخيرات مصحوب
تعارفَتْ في قديم الذّر أَنْفُسهــــم   فأشرقَتْ شمسهم و الدهـــر غربيــب

***

<u>**القصيدة الثالثة: جواب إلى شبلي**</u>

يا موضع الناظر من ناظــري　　و يا مكان السرّ من خاطــري
يا جملة الكلّ التي كلهــــــــا　　أحبّ من بعضي و من سائري
تراك ترثي للذي قلبــــــــه　　مُعلَق في مخلبي طائــــــــر
مدلَهٌ حيرانُ مستوحـــــــشٌ　　يهرب من قفر إلى آخــــــر
يسري و ما يدري و أسراره　　تسري كلمح البارق النائـــر
كسرعة الوهم لِمَنْ وهمه　　على دقيق الغامض الغابـــر
في لجّ بحر الفكر تجري به　　لطائف من قدرة القــــــادر

***

القصيدة الرابعة: مراحل على الطريق

سكوتٌ ثم صمتٌ ثم خَرْسُ	و عِلْمٌ ثم وَجْدٌ ثم رَمْـــــــس
و طينٌ ثم نارٌ ثم نـــــــورٌ	و بردٌ ثم ظلّ ثم شمـــــــس
و حَزْنٌ ثم سهل ثم قَفْــٌــر	و نهر ثم بَحْرٌ ثم يَبْـــــــس
و سكر ثم صَحْوٌ ثم شوقٌ	و قرب ثم وفر ثم أنْـــــــس
و قَبْضٌ ثم بسط ثم مَحْوٌ	و فرق ثم جمع ثم طَمْـــــس
و أخْذٌ ثم ردّ ثم جـــذبٌ	و وصف ثم كشف ثم لبـــس
عبارات لأقوامٍ تســاوتْ	لديهم هذه الدنيا و فِلْـــــــس
و أصوات وراء الباب لكن	عبارات الورى في القرب همس
وآخر ما يَؤول إليه عَبْــٌد	إذا بلغ المدَى حظّ و نفـــــس
لأنّ الخلق خدام الأمانـــي	و حقّ الحقّ في التحقيق قُــدْس

***

القصيدة الخامسة: الأهوال أمانات عند أهلها

مَن سارروه فأبدى كلّما ستـــروا و لم يراع اتّصالاً كان غَشّاشـــا
إذا النفوس أذاعت سرّ ما علمت فكل ما خلت من عقلها حاشـــا
من لم يصن سرّ مولاه و سيّـــده لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
و عاقبوه على ما كان من زَلَـــلَ و أبدلوه مكان الأنْس ايحاشـــــا
و جانبوه فلم يصلح لِقُرْبِهـــــــم لمّا رأوه على الأسرار نبَّاشـــــا
من أطلعوه على سرّ فنمَّ بـــــــه فذاك مثل يبين الناس طيّاشـــــا
هم أهل السرِّ و للأسرار قد خُلقوا لا يصبرون على ما كان فحَّاشا
لا يقبلون مذيعاً في مجالسهـــــم و لا يحبّون سِتْراً كان وَشْواشا
لا يصطفون مضيفاً بعْض سرّهم حاشا جلالهم من ذلِكم حاشـــا
فَكُنْ لهم و بهم في كلّ نائبـــــةٍ إليهم ما بقي الدهر هشَّاشـــــا

***

القصيدة السادسة: ناي (في وصف فقد حاله)

أَنْعَى إليك نفوساً طاح شاهدُها فيما وراء الحيثِ يَلْقَى شاهد القِدَم
أنْعي إليك قلوباً طالما هَطَلَتْ سحائبُ الوحي فيها أبْحُر الحكـم
أنعي إليك لسان الحق مُذ زمن أودى و تذكاره في الوهم كالعـدم
أنعي إليك بيانا تستكين له أقوال كل فصيحٍ مِقْوَل فهـم
أنعي إليك أشارات العقول معاً لم يبق منهنّ إلا دارس الرمـم
أنعي و حُبِّك أخلاقاً لِطائفةٍ كانت مطاياهم من مكمد الكظـم
مَضَى الجميع فلا عين و لا أثـر مُضِيَّ عادٍ و فـُقـْدانَ الأُلى إرَم
و خَلّفوا معشراً يجرون لبستهم أعْمى من البهم بلْ أعمى من النعم

***

القصيدة السابعة

أشار لحظي بعين علِــــم　　بخالصٍ من خفِيّ وَهْم
و لائحٌ لاح في ضميـــري　　أدقّ من فهم وهم همّي
و خضتُ في لجّ بحر فكري　　أمُرُّ فيه كمرّ سهـــــم
و طار قلبي بريش شوقـــي　　مركّب في جناح عزمي
إلى الذي عن سُئلتُ عنـــه　　رمزت رمزاً و لم اسمّي
حتّى إذا جُزْتُ كل حــــدّ　　في فلوات الدنّو أهْمِـــي
نظرت إذ ذاك في سَجَـــالٍ　　فما تجاوزتُ حدّ رَسْمي
فجئتُ مستسلما إليـــــه　　حدّ قيادي بكفّ سلْمـــي
قد وسم الحبّ منه قلبي　　بميسم الشوق أي وســـم
و غاب عنّي شهود ذاتي　　بالقرب حتّى نسيتُ اسمي

***

القصيدة الثامنة

لم يبق بيني و بين الحقّ تِبْيَانــــي و لا دليل و لا آيات برهـــــان
هذا تجلى طلوع الحقّ ِ نائـــــرةً قد أزْهَرَتْ في تلألِيها بسلطـــان
كان الدليل له منه إليه بـــــــــه مِن شاهدِ الحقّ بِل عِلماً بِتِبْيـــان
كان الدليل له منه به و لـــــــــه حقــًّا وجدناه في تنزيل فـــُرقان
لا يستدلُّ على الباري بصنعتـــــه و أنْتُمُ حَدَثٌ يــُنْــبــِي بأزمـــان
هذا وجودي و تصريحي و معتقدي هذا تـــَوَحـــُّدُ توحيدي و إيماني
هذا عبارة أهل الانفراد بــــــه ذوي المعارف في سرّ و إعلان
هذا وجودُ وجودِ الواجدينَ لـــه بني التجانـــُس ِأصحابي وخُلّاني

***

القصيدة التاسعة

عجبتُ منك و منــّــي   يا مُنــْيــَة المُتــَمَنّــِي
أدنيتــَني منك حتــّــى   ظننتُ أنــّك أنــّــي
وغبتُ في الوجد حتــّى   أفنيتنــَي بك عنــّــي
يا نعمتي في حياتــــي   و راحتي بعد دفنــــي
ما لي بغيرك أنــــسٌ   من حيث خوفي وأمنــي
يا من رياض معانيــهْ   قد حوّيْــت كل فنــّــي
وإن تمنيْت شيْـــــأ   فأنت كل التمنــّــــي

***

القصيدة العاشرة

أقتلوني يا ثقاتـــــــي إنّ في قتــْلي حياتـــــــــي
و مماتـــي في حياتـــي و حياتي في مماتـــي
أنّ عنـــدي محْو ذاتـــي من أجلّ المكرمـــات
و بقائـــي في صفاتـــي من قبيح السّيّئــــات
سَئِمَتْ نفســي حياتـــي في الرسوم الباليـــات
فاقتلونـــي واحرقونـــي بعظامـــي الفانيـــات
ثم مـــرّوا برفاتــــــي في القبور الدارســـات
تجدوا ســرّ حبيبـــــي في طوايا الباقيــــات
إننـــي شيـــخ كبيـــــر في علوّ الدارجــــات
ثم إنـــّي صرتُ طفــلا في حجور المرضعات
ساكنـــاً في لحد قبـــــر في أراضٍ سبَخـــات
وَلَدَتْ أمّـــــي أباهـــا أنَّ ذا من عجبـــاتـــي
فبناتــــــي بَعْــدَ أنْ كـــ ـــن بناتـــي أخواتــــــــي
ليس من فعل زمــــــان لا و لا فعل الزنــــات
فاجمعوا الأجزاء جمعاً من جســـورٍ نيــــرات
من هـــواء ثم نــــار ثم من ماء فــــــرات
فازْرعوا الكلّ بأرضٍ تــُرْبُها تــرب مــوات
وتعاهــدها بســـــقي من كــؤوس دائــرات
من جـــوارٍ ساقيـــات و ســـواقٍ جاريـــات
فإذا أتممت سبعـــــــا أنبتــَتْ خير نبــــات

***

القصيدة الحادية عشر

يا طالما غِبْنا عن أشباح النظــــر   بنقطَة ٍتحْكِي ضياءُها القمـــرْ
من سمسم و شيرج و أحـــــرف   و ياسمين في جبين قد سطر
تمشوا و نمشي و نرى أشخاصكم   و أنتم لا ترونـــًا يا دبــــــر

***

مقطعات

(1)

و أيّ أرض تخلو منك حتّى   تعالوا يطلبونك في السمـــاء
تراهم ينظرون إليك جهـــراً   وهم لا يبصرون من العماء

***

(2)

إلى كم أنت في بحر الخطايـــــا   تبارز من يراك و لا تـــــــراه
وسمتــُك سمت ذي ورع ٍتــِقّي ٍ   و فعْلك فعل متــّبع هــــــواه
فيـــا من بات يخلو بالمعاصـــي   وعين الله شــــاهدة تـــــراه
أتطمع أن تنـــــال العفو ممّــــا   عصمتَ و أنت لم تطلب رضاه
فــَتــُبْ قبل الممات وقبل يـــوم   يلاقي العبد ما كســبت يــــداه
أتفرح بالذنـــوب والخطـــايــــا   و تنســاه و لا أحد ســــــواه

***

(3)

كانـــت لقلبي أهواءٌ مفرّقـــــة فاستجمعَتْ مـــُذْ راءَتـــْك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده وصرتُ مولى الورى مُذْ صرتَ مولائي
ما لامني فيك أحبابي و أعدائي إلّـــا لغفلتهم عن عظـــم بلوائــــــــي
تركتُ للناس دنياهم و دينهـــم شغلاً بحبـــّك يا ديني و دنيائـــــــي
أشعلتَ في كبدي نارين واحدة بين الضلوع و أخرى بين أحشائــــي

***

(4)

إذا دهمَتـــْك خيول البعــــــاد ونادى الاياس بقطع الرجـــا
فخُذْ في شمالك ترس الخضوع و شـــُدّ اليمين بسيف البكـــا
و نـــفْسَـــك نَفْسَك كُنْ خائفـــاً على حذر من كمين الجفـــا
فإن جاء الهجر في ظلمـــــة فسِرْ في مشاعل نور لصفا
فقـــُلْ للحبيب ترى ذلـــّـــتي فجُدْ لي بعفوك قبل اللقـــا
فـــوَ الحُبِّ لا تنثنِي راجعــــاً عن الحِبِّ إلّا بِعَوْض ِالمنـــا

***

(5)

سبحان من اظهر ناسوتـــُهُ ســـّر سنا لاهوتِه الثاقـــب
ثم بـــدا في خلقه ظاهـــراً في صورة الآكل و الشارب
حتـــّى لقد عَايـــَنَهُ خَلقـــُه كلحْظِة الحاجب بالحاجـــب

***

(6)

كتبتُ ولم أكــُتبْ إليك و إنــّما كتبتُ على روحي بغير كتابِ
و ذلك أنّ الروح لا فرق بينها و بين مُحِبــيّها بِفَصْلِ خطابِ
و كلّ كتابٍ صادر منك وارد إليك بلا ردّ الجواب جــواب

***

(7)

أريدُك لا أريدك للثواب و لكنــّي أريــدك للعقــاب
فكلّ مآربي قد نِلْتُ منها سوى ملذوذِ وجدي بالعَذَاب

***

(8)

كَفَى حَزَناً أنّي أُناديــك دائمــــــا كأنــّي بعيدٌ أو كأنــّك غائب
و أطْلُبُ منك الفضل من غير رغبةٍ فلم أر قبلي زاهدا فيك راغب

***

(9)

طَلَعَتْ شمس من أحبّ بلَيّلٍ فــ ــاستنارت فما عليها من غروب
عن شمس النهار تطلع باليلــ ــلِ وشمس القلوب ليس تغيــب

***

(10)

رأيتُ ربّي بعين قلبِ فقلتُ من أنت قال أنت
فليس للأين منك أينٌ و ليس أين بحيثُ أنت
و ليس للوهم منك وهمٌ فيعلم الوهم أين أنت
أنت الذي حُزْتَ كل أين بنحو لا أينَ فأينَ أنت
و في فنائي فنا فنائي و في فنائي وجدت أنت

***

(11)

لي حبيبٌ أزور في الخلــوات حاضر غائب عن اللحظات
ما تراني أصغي إليه بسمـــــع ٍ كي أعي ما يقول من كلمات
كلمات من غير شكل ولا نطق و لا مثل نغمة الأصـــــوات
فكأنّــي مخاطب كنت إيـــَّاه على خاطري بذاتي لذاتـــــي
حاضـــر غائب قريب بعيـــــدٌ وهو لم تحوه رسوم الصفات
هو أدل من الضمير إلى الوهم و أخفى من لائح الخطـــرات

***

(12)

سرّ السرائر مَطْـــــويٌّ بــاِثــْبَات ِ في جانب الأُفق ِمن نور بـــِطيَّات
فكيف والكيف معروف بظاهــــره فالغيب باطنه للذاتِ بالـــــــذات
تـــَاهَ الخلائقُ في عمياءَ مظلمــــةٍ قصدا و لم يعرفوا غير الإشارات
بالظنّ و الوهم نحو الحقّ مطلبهـــم نحوَ الهواء يناجون السمــــاوات
و الـــــربّ بينهم في كـــل منقــلب مُحِلَّ حالاتهم في كل ساعــــــات
و ما خلوا منه طرف عين لو علموا و ما خلا منهم في كل أوقـــــات

***

(13)

فما لي بُعْدٌ بَعْدَ بُعْدِكَ بَعْدَمـــــــــــــا تــَيَقــَّنْتُ أنّ القرب والبُعد واحد
وإنّي وإن أُهْجِرتُ فـــَالهَجْرُ صاحبـــي وكيف يصحّ الهجر والحُبّ واجد
لك الحمد في التوفيق في محض ِخالص ِ لعبدٍ زكـــّي ٍما لغيرك ساجــــــد

***

(14)

لا تــلمنّي فاللوم منــّي بعيــد وأجِرْ سيــّدي فإنــّي وحيد
إنّ في الوعد وَعْدك الحقّ حقاً إنّ في البدء بدء أمري شديد
مَن أراد الكتاب هذا خطابــي فاقرؤُا وأعلموا بأنّي شهيــد

***

(15) و (16)

قد تصبّرتُ و هل يصبــ ــبرُ قلبي عـــن فؤادي
مازجَتْ روحُك روحي في دنــوٍّ وبعـــادي
فأنا أنت كمـــا أنــّ ــك أنــّي و مـــرادي

أنتم ملكتم فؤادي فهمْت في كلّ وادي
ودقّ على فؤادي فقد عدمت رقادي
أنا غريبا وحيدا بكم يطول إنفرادي

***

(17)

حقيقة الحقّ مُسْتــنِــيَر صارخه بالنبا خبيـــر
حقيقة الحقّ ِقد تجلــَّتْ مَطْلب من رامها عسير

***

(18)

أنت المُولَــِّهُ لي لا الذكر ولَّهنـــي حاشا لقلبي أنْ يَعْلَق به ذِكَـــرى
الذكر واسطةٌ تــُخْفِيك عن نظري إذا توشــَّحَهُ من خاطري فكري

***

(19)

مواجِيدُ حَقّ ٍأَوْجَدَ الحـــــــقُّ كـُلَّها و إنْ عجزَتْ عنْها فهوم الاكابر
وما الوجد إلا خطرة ثم نظــــــــرة تـُنَشــّي لهيبا بين تلك السرائر
إذا سكن الحقُّ السريرةَ ضُوعفــتْ ثلاثة أحوال لأهل البصائـــــــر
فحالٌ تـُبيدُ السرَّ عن كنْه ِوجِـــــدِه وتـُحْضِرُهُ بالوجد في حال حائر
و حالٌ به زُمَّتْ قوى السرّ فآنـْثنَتْ إلى مُنــْظِرِ أفناه عن كلّ ناظر

***

(20)

الاحتمال الأول

إذا بلغ الصبُّ الكمال من الفَتَى ويذهل عن وصل الحبيب من السُّكر
فيشهد صدْقاً حيث أشهده الهوى بأنّ صلاة العاشقين من الكفــــــــر

الاحتمال الثاني

إذا بلغ الصبُّ الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
فشاهد حقــّاً حين يشهده الهوى بأنّ صلاة العارفين من الكفـــــــر

***

(21)

عَقــُدْ النبوّة مِصبْاح من النـــــور مُعَلّقُ الوَحي في مشكاة تأمــــــور
بالله يُنْــفَخُ نَفْــخ الروح في جَلَدِي بخاطري نَفْخَ اسرافيلَ في الصور
إذا تجلّى لطـــــوري أن يُكــَلّمني رَأيْتُ في غيبتي موسى على الطور

***

(22)

لأنوار نور الدين في الخلق أنوارُ و للسرّ في سرّ المسرّين أسرار

وللكون في الأكوان كون مُكَـــوّن ٍ   يكنُّ له قلبي و يهدي و يختـــار
تأمّلْ بعين العقل ما أنا واصـــف   فللعقل ِأسماع وُعَاة و أبصـــار

***

(23)

سكنتَ قلبي و فيه منك أســـــــــرار   فليَهْنِك الدار بلْ فليهنك الجـــارُ
ما فيه غيرك من سرٍّ عَلِمْتُ بـــــــه   فأنْظُرْ بعينك هل في الدار ديّار
و ليلة الهجر ِإنْ طالتْ و إن قَصُرَتْ   فمؤنسي أملٌ فيه وتذكـــــــار
إنّي لراض ٍبما يرضيك من تلفـــــي   يا قاتلي و لِمَا تختار اختـــــار

***

(24)

الحبّ ما دام مكتوماً على خطـــــرِ   وغاية الأمْنِ أن تدنو من الحـــــــذر
و أطيب الحبّ ما نمّ الحديث بـــــه   كالنار لا تأتِ نفعاً و هي في الحجـــر
من بعْدِ ما حضر السحاب و اجتمعا   الأعوانُ و امتطّ أسمى صاحب الخبر
أرجُو لنفسي براء من محبّتكــــــــم   إذا تبرّأت من سَمعي ومن بصـــــري

***

(25)

غِبْتَ و ما غبتَ عن ضميري   و صرْتَ فرحتي و سروري
وانفصل الفصل بافتـــــــراق   فصار في غيبتي حضوري
فأنت في سرّ غيبِ همّــــــــي   أخفى من الوهم في ضميري
تؤنسني بالنهار حقــــــــاً   وأنت عند الدجى سميري

***

(26)

يا شمس يا بدر يا نهار   أنت لنا جنـــّة و نـــار
تَجنُّبُ الإثِم فيك ثم إثمٌ   وخاصّية العار فيك عار
يخلعُ فيك العذار قـــومٌ   وكيف من لا له عـــذار

***

(27)

أحرف أربع بها هام قلبي   و تلاشت بها همومي و فكري
أَلِفٌ تألف الخلائق بالصنـْ   ـع وِلامٌ على الملامة تجـري
ثمّ لامٌ زيادة في المعانــي   ثمَّ هاءٌ أهيمُ بهــا أتـــدري

***

(28) و (29)
لماذا رفض الشيطان السجود لآدم

الاحتمال الأول

جحودي فيك تقديس   و عقلي فيك تهويـــس
و مــــا آدم إلاك   و من في البين إبليس

الاحتمال الثاني

جُنُوني لك تقديــس   و ظنّي فيك تهويـــس
و قد حيّرني حِـبٌّ   وطرْفٌ فيه تقويــــس
و قد دلّ دليل الحُبِّ   أن القرب تَـلْبيـــس
فــمــــن آدم إلاك   ومن في البين إبليـــس

***

(30)

حويتُ بكـلّي كلّ حُبِّك يا قـُدْسي   تكاشفني حتـّى كأنـّك في نفســي
أقلّب قلبي في سواك فــــلا أرى   سوى وحشتي منه و منك به أنْســي
فها أنا في حَبس الحياة مجمَّـــع   من الأنس فاقبضْني إليك من الحبْس

***

(31)

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت   إلا و حبّـك مقــرون بأنفاســي
ولا خلوتُ إلى قوم أحدّثهـــم   إلا و أنت حديثي بين جلاســـي
ولا ذكرتك محزوناً و لا فَرِحا   إلا و أنت بقلبي بين وسواســـي
ولا هممت بشرب الماء من عطش   إلا رَأَيْتُ خيالاً منك في الكـــأس
ولو قدرتُ على الإتيان جئتـُكم   سعياً على الوجه أو مشياً على الرأس

ويا فتى الحيّ إن غنّيت لي طربا   فغنّــني وأسفا من قلبك القاســـــي
ما لي وللناس كم يلحونني سفها   ديني لنفسي ودين الناس للنـــــاس

***

(32)

يا نسيم الروح قولي للرشـــا   لم يزدني الــوِرْد إلا عطشـــا
لي حبيبٌ حبّه وسط الحشـــا   إن يشا يمشي على خدّي مشا
روحه روحي وروحي روحه   إن يشا شئتُ وإن شئتُ يشـــا

***

(33)

عجبتُ لكلّي كيف يحمله بعضـــــي   ومن ثقل بعضي ليس تحملني أرضـــي
لئن كان في بسط من الأرض مَضْجَعٌ   فبعضي على بسط من الأرض في قبضي

***

(34)

ما زلتُ أطفو في بحار الهوى   يــرفــعــني المَــوْجُ و انحطُّ
فتارةً يــرفعــني مَــوْجُــهـــا   وتـــارة أهــــوى وانـــغــــطّ
حتّى إذا صيَّرني في الـــهوى   إلى مــكـــان مـــا لـــه شــــطّ
ناديتُ يا من لم أبُـــح باسمـــه   ولم أخُــنْــهُ في الهـــوى قطّ
تقيك نفسي السُّــوء من حاكم   ما كان هذا بيننــــا شــــرط

***

(35)

مكانُك من قلبي هو القلب كـــلّــــه   فليس لخلق في مكانك موضـــــع
وحَطّتْك روحي بين جلدي وأعظامي   فكيف تراني إن فقدتك اصنـــــع

***

(36)

إذا ذكرتك كاد الشوق يقلقني   وغفلتي عنك أحزانٌ وأوجاع
وصار كلّي قلوباً فيك داعية   للسقم فيها وللآلام إســـــراع

***

(37)

نديمي غير منســـوبٍ   إلى شيءٍ من الحيـــف
سقاني مثلما يشـــرب   كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكـــــأس   دعا بالنطع و السيـــف
كذا من يشرب الراح   مع التِــنّين في الصيف

***

(38)

صَيَّرني الحقّ بالحقيقـــة   بالعهد والعقد والوثيقـــة
شَاهَدَ سرّي بلا ضميري   هذاك سرّي وذا الطريقة

***

(39)

وَحّدْنِي واحدي بتوحيد صِدْقٍ   مــا إلـــيه من المســـالك طَرقُ
أنا الحقُّ و الحقُّ للحقّ حـــقٌّ   لابِــسٌ ذاتَـــهُ فما ثَــمّ فَـــرْقُ
قد تَجَلّتْ طوالعٌ زاهـــــراتٌ   يتـــشعشعْنَ في لـــوامـــع بَـــرْقِ

***

(40)

ركوبُ الحقيقة للحقّ حـــقُّ   ومعنى العبارة فيه تدقّ
رَكِبْتُ الوجودَ بعين الوجودِ   وقلبي على قسوةٍ لا يَرِقّ

***

(41)

جبلتْ روحك في روحي كما   تجبل العنبر بالمسك الفتقْ
فإذا مسَّــك شيءٌ مسَّــنـــــي   فإذاً أنت أنا لا نفتــــرقْ

***

(42)

دَخَلْتَ بناسوتي لديك على الخلق   ولولاك لاهوتِي خَرجْتُ من الصِدْق
فإنّ لسان العلم للنطق و الهدى   وإنّ لسان الغيب جلّ عن النطــــق
ظهرتَ لقومٍ والتبستَ لفتيــــةٍ   فتاهوا وضلّوا واحتجبتَ عن الخلــق
فتظهر للألباب في الغرب تارةً   وطورا على الألباب تغرب في الشرق

***

(43)

فيك معنى يدعو النفوسَ إليك   ودليل يدلّ منك عليْــك
لِــيَ قلــبٌ له إليك عيــونٌ   ناظراتٌ وكلُّهُ في يدَيْك

***

(44)

همّي بـــه ولّـــه عــليــك   يا من إشارتنا إليك
روحان ضمهما الهوَى في   مِدْحَتِك وفي لديــك

***

(45)

دُنْيَا تُخَادِعُنِي كأنّـــي   لستُ أعرف حالهـــا
ذمّ الإلــهُ حرامهـــــا   وأنا اجتنبت حلالهـــا
مدَّتْ إلــيَّ يمينهـــــا   فرددْتها وشمالهـــــا
ورايتــُها محتاجـــــة   فوهبتُ جملتها لهـــا
ومتى عرفت وصالها   حتـــّى أخاف ملالها

***

(46)

عليــك يا نفــس بالتسلّـــــي   العــزّ بالزهد و التخلّــي
عليــك بالطلْــــعة التـــــي   مشكاتها الكشف و التجلّي
قد قام بعضي ببعض بعضي   و هام كلـــي بكــلّ كلـــي

***

(47)

مُزجت روحك في روحي كما   تمزج الخمرة بالماء الزلال
فـــإذا مسَّـــك شيء مسّنـــــي   فإذاً أنت أنا في كلّ حـــال

***

(48)

نِعْمَ الإِعَانَةُ رَمْزٌ في خفا لُطْــف ٍ   في بارق ٍلاحَ فيها من حُلَى خِـلـلَـهْ
والحال يرمقني طوراً وأَرْمُــقـُـه ُ   إن شا يغشى على الإخوان من قـُلَـلِـهْ
حال إليه رأى به فيه بـِهِـمّتــه   عن فيض بحرٍ من التمويه من مِـلَـلِـهْ
فالكـلّ يشهده كـُلّاً وأشهـــــده   مع الحقيقة لا بالشخص من طـلـلـهْ

***

(49)

ثلاثة أحرف لا عُجْــمَ فيهــا   ومعجومان ِوانقطع الكــلام
فمعجــومٌ يشاكــل واجديـــهِ   ومتروكٌ يُصَـدّقـُهُ الأنـــام

وباقي الحَرْف ِمرموزٌ مُعَمَّى   فلا سفر ينـــال و لا مقـــام

***

(50)

تفكّرتُ في الأديان جدَّ تحقق ٍ   فألفيتها اصلاً له شُعَباً جّما
فلا تــَطْلُبَنْ للمرء ديناً فإنّه   يُصَدُّ عن الأصل الوثيق وإنّما
يطالبه اصلٌ يعبِّر عنده   جميعُ المعالي والمعاني فــَيَفْهَمَـــا

***

(51)

يا لائمي في هواه كم تلوم فــَلَوْ   عرَفْتَ منـــه الــذي عنيت لـــم تــَلُم ِ
للناس حجّ ولي حجّ إلى ســـكني   تُهْدَى الأضاحي وأُهْدِي مُهْجَتِي وَدَمِي
تطوف بالبيت قومٌ لا بجـــارحة ٍ باللهِ طافوا فأغنـــاهم عـــن الحَـــــرَم ِ

***

(52)

بدا لك ســـرٌّ طال عنـــك اكتتامه   ولاح صباحٌ كنت أنت ظلامه
وأنت حجاب القلب عن سرّ غيبه   ولولاك لم يطبع عليه خاتمـــه

***

(53)

هيكليّ الجسم نوريّ   صمديّ الروح ديّـــان عليـــم
الصميم
عـــاد بالـــروح إلى أربابها   فبقي الهيكل في الترب رميم

(54)

قلبك شيء وفيه منك أسماء　لا النور يدري به كلّا ولا الظلـــم
ونور وجهك سرّ حين أشهده　هذا هو الجود والإحسان والكرم
فخُذْ حديثي حِبِّي أنت تعلمه　لا اللـــوح يعلمه حقاً ولا القلـــم

***

(55)

آهٍ أنا أم أنْتَ؟ هَـــذَيْـــن ِإلِهَيْـــــن ِ　حاشاي حاشاي مِن إثبـــات أثـــنَـــيْـــن ِ
هـــــويةٌ لـــك في لايئتي ابَـــــداً　كـــلّي على الكلّ تلبيسٌ بـــِوَجْـــهـــَيْـــن ِ
فـــَأيْنَ ذاتك عنّي حيث كنت أرى　فـــقد تـــبَيَـــّنَ ذاتـــي حيت لا أيـــــن
وأيْنَ وَجْهُـــك مقصود بناظرتـــي　في ناظـــر القلب أم في ناظـــر العيـــن
بَيْنِـــي وبَيْنَـــك أنّيٌ يُزاحِمُنِـــــي　فارفعْ بـــِأنـــَّك أنّـــي مِـــن الـــبـــيـــن

***

(56)

ألا أبْـــلــِغْ أحبّـــائي بأنّـــــي　ركبتُ البحر وانكَسرَ السفينة
على دين الصليب يكون موتي　و لا البطحا أريد ولا المدينة

***

(57)

أنا مَن أهوى ومَن أهوى أنا　نحن روحان ِحَلَلْـــنا بدنا
فـــإذا أبصرتـــَني أبصرتـــَهُ　و إذا أبصرتـــَهُ أبصرتـــَنـــا

***

(58)

يا غـــافلاً لجهالـــةٍ عن شأني　هلّا عـرفـتَ حقيقتـي وبيانـي
أعِبـــادة لِلّهِ ستـــّة أحـــــرف ٍ　مِـــن بينها حرفـــان معجومـــــان
حرفان اصليّ وآخُـــر شَكّلُـــه　في العجـــم منسوب إلى إيـــماني

فإذا بدا رأس الحروف أمامها   حرفٌ يقــوم مقــام حرف ثــان
أبصرتَني بمكان موسى قائما   في النور فوق الطور حين تراني

***

(59)

خاطَبنِي الحقّ من جناني   فكان علمي عــلى لساني
قربّني منه بَعْــدَ بُعْــــدٍ   وخصَّني الله و اصطفاني

***

(60)

كــذا اجتباني وأدناني وشرّفنـــــي   والكـــلّ بالكـــلّ أوصاني وعرّفني
لم يبق في القلب والأحشاءِ جارحةٌ   إلّا وأعْــرفه فــيـــهــا ويعرفنـــي

***

(61)

أنْتَ بين الشغاف والقلب تجري   مثل جري الدموع من أجفاني
وتُحِلُّ الضميرَ جوفَ فــــؤادي   كحلول الأرواح فــي الأبدان
ليس من ســــاكن ٍتَحَرَّكَ إلّا   أنت حَرَّكْتَهُ خَفَّي المكـــــان
يا هـــلالاً بدا لأربع عشــر ٍ   لثمــان ٍوأربـــع ٍو اثنـــــان

***

(62)

حَمَّلْتَ بالقلب ما لا يحمل البَدَنُ   والقلب يحمل ما لا تحمل البُــدُن
يا ليتني كنتُ أدنى من يلوذ بكم   عينــاً لانظركــم أم ليتنـــي أذن

***

(63)

بيَان بيان الحـــقّ أنت بيانـــه   وكـــل بيـــان ٍأنت منـــه لسانـــهُ
أشرتُ إلى حقّ ٍبحق ٍوكل من   أشـــار إلى حقّ فأنْـــتَ أمـــانـــهُ
تشير بحقّ ِالحقّ والحق ناطقٌ   وكـــل لســـان ٍقـــد أتـــاك أوانـــهُ

إذا كان نعْت الحقّ للحقّ بَيّنــاً   فما بالُهُ في الناس يَخْفَــي مكانــه

***

(64)

رقَــيـــبَــان ِمنّي شاهدَان ِلحُبِّـــــهِ   واثنـــان ِمنّـــي شـــاهــدَان ِتــرانـــي
فما جـــال في سرّي لغيرك خاطـــر   ولا قـــال إلا فـــي هـــواك لســانـــي
فإنْ رُمْتُ شرقاً أنت في الشرق شرقهُ   وإن رمـــتُ غرباً أنت نصب عيانـــي
وإن رمتُ فوقاً أنت في الفوق فوقه   وإن رمـــتُ تحتا أنـــت كـــل مكـــان
وأنـــت محـــلّ الكـــلّ بـــل لا محلّهُ   وأنـــت بكـــلّ الكـــلّ ليـــس بـــِفـــان ِ
فقلبي وروحي والضمير وخاطري   وتـــرداد أنفـــاسي وعقـــد جنـــانـــي

***

(65)

أرجعْ إلى الله إنّ الغـــاية الله   فـــلا إلـــهَ إذا بالغْتَ إلّا هـــــو
وإنّه لمَـــعَ الخَلْق الذين لهـــم   في الميم والعين والتقديس معناه
معناه في شفَتي من حلّ معتقداً   عن التهجّي إلى خلق ٍله فاهـــوا
فإنْ تشكّ فدبّرْ قول صاحبكم   حتّى يقول بـــِنَفْي ِالشكّ هذا هو
فالميـــم يفتح أعلاه وأسفلـــه   والعيـــن بفتـــح أقصـــاه وأدناه

***

(66)

من رامه بالعقل مسترشدا   أسرحَهُ في حيرة تلهـــو
قد شاب بالتلبيس أسرارهُ   يقول في حيرته هَلْ هو

***

(67)

لستُ بالتوحيدِ ألهـــو   غير أنّي عنه أسْهـــو

كيف أسهو كيف ألهو   وصحيح أنّــني هــو

***

(68)

يا ســـرّ ســرّي تدقّ حتّى   تُخفي على وهم كل حّيِ
وظـــاهــرا باطناً تجــلّى   في كلّ شيء لكل شـــيء
لئن اعتذاري إليك جهــلٌ   وعُظْم شكّي وفرط عيِّ
يا جملة الكلّ لسْتَ غيري   فما اعتذاري إذاً إلـــــيِّ

***

(69)

اسمٌ مع الخلق قد تاهوا به وَلَهاً   ليعلموا منه معنىً من معانيه
والله لا يصلوا منه إلى سبـــبٍ   حتّى يكون الذي أبداه يبديــه

***

يتامى

(1)

مثالُك في عيني وذكْرك في فمي   ومَثْــوْاك في قلبي فأين تغيب

***

(2)

كفرت بدين الله والكفر واجب   لديَّ وعــنــد المسلمين قبـــح

***

(3)

فَقــُلْتُ اخلَّائي هي الشمسُ نورها   قريبٌ ولكنْ في تناولها بُــعْــدٌ

***

(4)

قد كنتُ في نعمة الهوى بطراً   فأدركَتْني عقــوبة البطـــر

***

(5)

شرطُ المعارف محو الكلّ منك إذا   بدا المريدُ بلحظٍ غير مطــّلع

***

(6)

ذِكْرُهُ ذكري وذكري ذِكْرُهُ   هل يكونــَا الذاكران ِإلّا معَا

***

(7)

لا تُعرِّضْ بهذا فهذا بنانٌ   قد خضبناه بدم العشّاق

***

القسم الثاني

آ – قصائد مستعارة من شعراء سابقين

1 – لعبد الصمد بن المضحل البصري

يا بديع الـــدلّ و الغنج   لك سلطانٌ على المهج
إن بيتـــاً أنت ســـاكنه   غير محتاج إلى السُّرُج
وجهك المأمول حجّتنا   يوم يأتي الناس بالحج

***

2 – لحسين بن الضحاك الخالي

تجاسرتُ فكاشفتــك   لما غلب الصبر
وما أحسن في مثلك   ما ينتهك الستــر
لئن عنــفَّني الناس   ففي وجهك لي عذر
كانّ البدر محتــاج   إلى وجهك يا بــدر

***

3 – لشعراء مجهولين

أ

دلالٌ يا حبيبي مستعــــــارْ   دلال بعد أن شاب العــذار
ملكتَ وحرمة الخلوات قلباً   لعبتَ به وقــرّ به القــرار
فلا عيــن يؤرّقها اشتيــاقٌ   ولا قلب يقــلّقه اِدّكـــــــار
نزلتَ بمنزل الأعداء منّــي   و تبتُ فما نزور ولا تــزار
كما ذهب الحمار بأم عمروٍ   فما رجعَتْ ولا رجع الحمار

ب

وبدا له من بعدما اندمل الهوى   برقٌ تــأَلّــق موهناً لمعَــانُه
يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذرى ممتنعا أركانه
فأتى لينظر كيف لاح فلم يطق   نظرا إليه وصده أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه   والماء ما سمحت به أجفانه

3

وطائرٍ حَلَّ أرضَ الشام افــرده   فَــقــدْ الأليف لــه نطق بإضمار
بالفهِ كان قصراً صــار مسكنه   في غيضَةِ الأيكِ في أغصان أشجار
فضلّ يندب حتّى الصبح مُسْعِدَه   يبغي الغريبَ ويُهوى كــل صبّــار
في نطقه رقة تسليك عن حُرَقٍ   فَيُسَلّيك نَــوْحُهُ نطقــا بإضمـــــار

***

4 – لأبو العتاهية

آ

النفس للشيء الممنّع مُولَعة   والحادثات أصــولهــا متفرّعة
والنفس للشيء البعيد مُريدة   والنفس للشيء القريب مُضيّعة
كل يحاول حيلةً يرجو بها   دفع المضرّة واجتلاب المنفعة

ب

وما وجدتُ لقلبي راحةً ابـــــدا   وكيــف ذاك وقد هييتُ للكـــــدر
لقد ركبت على التغرير واعَجَبَــا   ممّن يريد النجا في المسلك الخطر
كـــأنّـــنــــي بين أمواج تقلّبُنــــي   مقلّب بين إصعادٍ و منحـــــــــــدر
الحُزْن في مهجتي والنار في كبدي   والدمع يشهد لي فاستشهدوا بصري

ج

الكأس سهّل الشكوى بمُنْتَابكم   وما على الكأس من شرّابها درك
هبْني ادّعيتُ بأنّي مدنفٌ سَقِمٌ   فما لمضْجع جنبي كـــلّه حســك
هجرٌ يسوء ووصلٌ لا أسرُّ به   مالي يدور بمـــا لا أشتهي الفلك
فكلما زاد دمعي زادني قلقــاً   كـــأنــــّـني شمعة تبكي فتنسبك

د

طلبتُ المستقَرَّ بكـــل أرض   فلم أرَ لي بأرضٍ مستقرًّا
أطعتُ مطامعي فاستعبدَتْني   ولو أنّي قنعتُ لكنتُ حرًّا

[فنِلْتُ من الزمان ونال منّي   وكان مناله حلْواً ومُرًّا]

تعوَّضْتُ مسّ الضرّ حتّى ألفتُه   وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

***

5 - لسهل التستري

قلـــوب العارفين لها عيون   ترى ما لا يراه الناظرون
وألسنة بأســـرار تنـــاجــــي   تغيب عن الكرام الكاتبين
وأجنحة تطير بغير ريـــشٍ   إلى ملكوت ربّ العالمين
فأورثنا الشراب علوم غيبٍ   تشفّ على علوم الأقدمين
شواهـــدها عليها ناطقـــات   تبطل كل دعوى المدعين

***

6 - لجنيد البغدادي

آ

الوجد يُطرب من في الوجد راحته والوجد عند وجود الحقّ مفقـــود
قد كان يوحشني وجدي و يؤنسني برؤية الوجد من في الوجد موجود

ب

ما لي جَفِيْتَ وكنتُ لا أُخفي ودلائل الهجران لا تُخْفَــى
و أراك تخلطني وتشــربني ولقدْ عهدتك شاربي صرفا

ج

قد تَحَقَّقْتُ في سرّي فتناجاك لسانــي
فاجتمعنا بمعــــانٍ وافترقنا لمعـــان
فلئن غَيَّبك العــزّة عن لحظ العيـــان
فلقد صيّرك الوجدُ من الأحشاء دانٍ

***

7 – لأبو الحسن النوري

كـــادت سرائر سرّي أن تسرّ بما أوليتني مـــن جميـــل لا اسميــــه
وصـــاح بالسرّ سرٌّ منك يـــرقيه كيــف السرور يســر دون مبديـــه
فظــل يلحظني سرّي لألحظــه والحــقّ يلحظني أن لا أخــلـــيـــه
وأقبل الوجد يفني الكل من صفتي وأقبــل الحــقّ يخفيني وأبـــديـــه

***

8 – لسمنون

آ

متى سهرَتْ عيني لغيرك أو بكــتْ فلا أعطيت ما مُنِّــيَــتْ وَتــَمَـــنَّـــتِ
وإن أُضْمَرَتْ يوماً سواك فلا رَعَتْ رياض المُنَى من وجْنَـــتَـــيْـــك وجَنَّتِ

ب

لئن أمسيتُ في ثوبي عديـــم لقد بليا على حرّ كريـــم
فلا يحزنك إن أبصرتَ حالاً مغيّرة عن الحال القديـــم

فلي نفسٌ ستتلف أو سترقـــى   لَعَمْرُ أبي إلى أمر جسيم

ج

أرسلتَ تسأل عنّي كيف كنتُ ومـــا   لقيتُ بعدك مـــن هـــمّ ومـــن حزن
لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف كنتُ ولا   "لا كنتُ" إن كنت أدري كيف لم أكن

***

ب – قصائد مستعارة من شعراء لاحقين

1 – لأبي فراس الحمداني

وليتكَ تحلـــو والحيـــاة مريرةٌ   وليتـــكَ ترضى فالأنام غضاب
وليتَ الذي بيني وبينك عامـــر   وبيني وبين العالمَين خـــــراب
وليتَ شرابي من ودادك صافيا   وشربي من ماء المعين سراب
إذا صحّ منك الودّ فالكلّ هين   وكل الذي فوق التراب تـــراب

***

2 – لأبو نصر السرّاج

لا تَسْأمــنَّ مقالتـــي يـــا صاح   وأقبل هدية ناصــح نصَّاح
ليس التصــوّف حيـلةً وتكلّفـاً   وتقشّفاً وتواجداً وصيـــاح
ليس التصوّف كِـــذبةً وتظالماً   وجهــالةً ودعــابة ومِــزاح
بــلْ عفّة ومُـــرُوءَةً وفتــوَّةً   وقنــاعةً وطهــارة وصلاح
وَقْفــاً وعِلمــا واقتدا وصفــا   ورضا وصِدِءقاً ووفا وسماح
متيقــّناً متصبّـــراً متشمّـــراً   مستمطــرا مستقصّـدا سيّاح
متعــزّزا متحــرّزا متواضعــا   متبــدّل الأشبــاح و الأرواح
تاء التقى صاد الصفا واء الوفاء   فــاء الفتوّة فاغتنمْ يــا صاح
مــن قــام فيه بحقّــه و حقوقه   وخـــلا عن الحدثان والأشباح
تتشعشع الأنـــوار من أســـراره   كتشعشع المشكاة في المصباح

3 – لشاعر مجهول

أنت أنا بلا شــــكّ   فسُبْحانك سُبْحَانـــي
فتوحيدك توحيــدي   وعصيانك عصياني
واسخاطك اسخاطي   وغفرانك غفرانـــي
ولِمْ أُجْلَد يا ربّـــي   إذا قيل هو الزانـــي

***

4 – لعين القضاة الحمداني

ألقاهُ في البحر مشدوداً وقال له   إيَّاك إيَّاك أن تــبَــتــلَّ بالماء

***

5 – مدرسة ابن عربي

عَقَدَ الخلائقُ في الإله عقائداً   وأنا اعتقدتُ جميع ما عقدوه

***

ج - في لسان حال الحلاّج

1 – في الحبّ الإلهي والتوق إلى العذاب

1 - القزويني

حَنينُ المُريد بشوق مزيــد   أنين المريض لفقد طبيــب
قد اشتدّ حال المريدين فيه   لفقد الوصال و بُعْد الحبيب

***

2

الصـــبَّ إرْثِي مُحِبٌّ   نواله منك عُجْــبُ
عــذابه فيــك عَذبٌ   وبُعده فيك قـــــرب
وأنت عندي كروحي   بل أنت عندي أحبّ
فـــأنـــت للعين عين   وأنـــت للقلب قلب
حتّى من الحبّ أنّي   بمـــا يحبّ محـــبّ

***

3

لقد أعجبني الوجد   بمن أهواهُ والفقــدُ
فلا بعد ولا قرب   ولا وصل ولا صدّ
ولا فوق ولا تحت   ولا قبـــل ولا بعـــد
ولا عُرف ولا نكر   ولا يـــأس ولا وعد
فهذا منتهى سولي   وهـــو الواحد الفرد

***

4

العيـــن تبصر من تهـــواه وتفقده   ونـــاظر القلب لا يخلو مـــن النظر
إن كان ليس معي فالذكر منه معي   يراه قلبي وإن قد غاب عن بصري

***

5

أجريتُ فيك دموعي   فالـــدمع منك عليـــك
و أنت غاية ســؤلي   و الطرف وسنَى عليك
فإن فُنِي فيك بعضي   حُفظـــتُ منـــك لديك

***

6

إذا هجرتَ فمـــن لـــي   ومـــن يجمّل كـــلّي
ومـــن لروحي وراحي   يا أكثـــري وأقـــلّي
أحَبَّـــكَ البعض مـــنـــّي   فقد ذهبت بكـــــــلّي
يا كـــلّ كـــلّي فكـــنْ لي   إنْ لم تكن لي فمن لي
يا كـــل كـــلّي و أهـــلي   عنـــد انقطاعي وذلّي
ما لي سوى الروح خذها   والـــروح جهد المقلِّ

***

7

كل حبّ عــلـى قلبٍ غير حبّك حرام
أنت لي رَوْحٌ وراح وزهر ومــدام
وســرور و همــوم وشفاء وسقــام
فعلـــيَ كلّ هوى بْعدَ هوى فيك سلام

***

8

رماني بالصدود كمـــا تراني وألْبَسَنِي الغرام وقد براني
ووقتي كــلّه حلــوٌ لــذيــذ إذا ما كان مولائي يــراني
رضيتُ بصنعه في كل حال ولستُ بكاره ما قد رمـــاني
فيا من ليس يشهد مـــا أراه لقد غيبت عن عين ترانـــي

***

9

وقَصَّرْتُ عقلي بالهوية طاليا فعـــاد ضعيفاً في المطالب هاريا
وكُنْتَ لربّ العالمين نصرةً فلا تَسْتَعْجِلْ أنْتَ في التطلّب جاريا
تحقّقْ بأن الحقّ ليس بمُدرِكٍ فمن يُدْعِيُهُ جاهلا ومـــرائيـــا
ولكنّه يبـــدو مراراً فيختفي فيعرفه مـــن كـــان بالعلــم خاليا

***

10 - الحمداني

الله يعلمُ مـــا فـــي النفس جارحةٌ إلّا وذكـــرك فيهـــا نَيْــلُ ما فيهـــا
ومـــا تنفّستُ إلّا كنتَ مـــع نَفَسِي تجري بك الروح منّي في مجاريها
إن كانت العين مُذ فارقْتَها نظرتْ إلـــى ســـواك فخانتهـــا مـــآقيهـــا
أو كـــانت النفس بعد البُعْد آلفة خـــلقاً عـــداك مـــا نالت أمانيهـــا

***

2 – في السكر الروحاني والعذاب

11

لم أسْلِمِ النفْسَ للأسقام تـُـتْلِفُها   إلّا لعلمي بأنّ الموت يُحييهـــا
ونظرةٌ منك يا سؤلي ويا أملي   أشهى إلي من الدنيا وما فيها
نفْسُ المحبّ على الآلام صابرة   لعــلَّ مُسْقمها يوماً يداويهـــا

***

12

نظري بَـــدْء علَّتي   وَيْحَ قلبي وما جنا
يا معين الضنا علّى   أعِنِّي على الضنا

***

13

وحُرمة الودّ الذي لــم يكنْ   يطمع في إفساده الدَهْرُ
مـــا نالني عند هجوم البـــلا   بؤسٌ ولا مسّني الضرّ
ما قُدَّ لي عَضْوٌ ولا مفصل   إلّا وفيه لــكــم ذِكْـــر

***

14

سَقَوْني وقالوا لا تُغَنِّ ولو سقوا   جبال حُنين ما سقيتُ لغنّـــتِ
تمنَّتْ سُلَيْمَى أن أموت بحبّهـــا   وأسهل شيء عندنا ما تمنّت

***

15

سكرْتَ من المعنى الذي هو طيب   ولـــكنَّ سُكري بالمحّبة أعْجَب
و مـــا كـــلّ سكران يُحَدّ بواجبٍ   فـــفي الحبّ سكران ولا يتأدّب
تقوم السكارى عن ثمانين جلدة   صحاةً وسكران المحبّة يُصلّب

***

16

كلّ بلاء علّي منّي   فليتَني قد أخذتُ عنّي

***

17

لاحتْ على دكّة الخمّار أســرار   وأشرقت في وجــوه القوم أنوار
وطاف بالبيت ساقٍ لا شبيه لـــه   هــذا العقيق وهــذا الربع والدار
فاستيقظوا يا سكارى بعد رقدتكم   واستغنموا الوقت إن الدهر غدّار
مــن باح بالسرّ كان القتل شيمته   بين الرجال ولم يُؤخذ لــه ثـــار

***

18

والله لــو حلــف العشّــاق أنّهــم   موتى من الحبّ أو قتلى لما حنثوا
قومٌ إذا أهجروا من بعد ما وصلوا   ماتــوا وإن عاد وصْل بعدهُ بُعثوا
ترى المحبّين صرعى في ديارهم   كفتية الكهف لا يدرون كــم لبثوا

***

19

مواجيد أهل الحق تصدق عن وجدي   وأسرار أهل السر مكشوفة عندي

***

20

لِيَكُنْ صدرُك للأسرار   حِصْناً لا يُــرام
إنّمــا ينطــقُ بالســرّ   و يُفْشيــه اللئامُ

***

21

وما شرب العشّاق إلّا بَقيّتي   وما وردوا في الحبّ إلّا على ورْدي

***

د – قصائد مكرّسة لموت الحلاّج

1 – لأبو الحسن علي مسفر السبتي: قصيدة حول الشهادة

قـُلْ لأخـوان رآوني ميّتـاً فبكوني إذ رآوني حَزَنَـا
أتظنـّون بأنّـي مـيْـتـكم لستُ ذاك الميت والله أنا

أنـــا كنزٌ وحـــجابي طلســـم   من تراب قد تهيّا للفنـــــا
أنـــا عصفور وهـــذا قفصي   كان سجني فأبيتُ السجنا
فاهدموا البيت فرضّوا قفصي   وذروا الكـــل دفينا بيننـــا
وقميصي مزّقـــوه رمـــمـــاً   وذروا الطلسم بعدي وثنا
فاخلعوا الأجساد عن أنفسكم   تبصروا الحقّ عياناً بيّنـــا
مـــا أرى نفسي إلّا أنـــتـــمُ   واعتقادي أنكم أنتـــم أنـــا
عُنصر الأنفس شيء واحد   وكذا الأجسام جسم عمّنـــا

***

2 – للعز المقدسي

آ

أباحَتْ دمي إذ باح قلبي بحبّها   وحلّ لها في حكمها ما استحلّت
أباحَتْ حمى لم يرعه الناس قبلها   وحلّت تلاعاً لم تكن قبل حُلّت
و ما كنتُ ممّن يظهر الســـرّ إنّما   عروس هواها في ضميري تجلّت
فألقَـــتْ على ســـرّي أشعّة نورها   فـــلاح لجـــلّاسي خفايـــا طويّتي
وشـــاهدتها فاستغرقتني حـــيـــرة   فغابت بها عن كلّ كـــلّي وجملتي
وحلّـــت محـــلّ الكـــلّ منّي بكلها   فإياي إيّـــاهـــا إذا مـــا تبـــدّت
ونمّتْ على سرّي فكانت هي التي   عليهـــا بهـــا بين البـــريّة نَـــمَّتِ
إذا سَألت من أنت قلت أنـــا الذي   بقائي إذا فـــنـــيت فيك هويّتي
أنا الحقّ في عشقي كما أن سيّدي   هو الحـــقّ في حسن بغير معية
فإن كنتُ في سكري شطحتُ فإنّني   حكمـــت بتمزيق الفؤاد المفتّت
ولا غروَ إن أصليت نار تحرّقـــي   فنار الـــهوى للعاشقين أعدّتي
ومـــن عجب الذيـــن أحـــبّـــُهـــم   وقد أعلقوا أيدي الهوى بأعنّـــة
سقوني وقالوا لا تُغنّ ولو سقـــوا   جبال حُنين ما سقوني لغـــنَّت

***

ب

هيهاتَ مـــــا قتلـــوه   كلّا ولا صـــلـــبـــوه
لكنهم حيـــن غابـــوا   عن وجـــده شبّهـــوه
أحبابه حين غـــاروا   عليه قـــد غَيّبـــــوه
سقوه صرفاً وراموا   كتمان مـــا أوعـــدوه
فمـــا أطـــاق ثبوتـــا   لثقل مـــا حمّلـــــوه
فتـــاهَ سكـــراً ونادى   أنا الذي أفـــــردوه
يا لائمي كيف أخفي   وفي الحبّ ما أظهروه
أم كيف يكتـــم قلباً   بالشوق قد مزّقـــوه

***

3 – لعلي الششتري

أ – (مستوحاة من قصيدة لابن عربي)

شهدت حقيقتي وعظيم شأني مقدسة عن إدراك العياني
فقال مترجما عنـــــي لساني أنا القرآن والسبع المثاني
وروح الروح لا روح الأواني
أنا فـــي مستوى عرشي قـــديـــم لِذِي أنّيّتي الـعـــظـــمى نـــديـــم
وفـــي بلـــوى محبّتكـــم أهـــيـــم فـــؤادي عنـــد معلومي مقيـــم
يناجيه وغَيْركم لساني
سترت حقيقتي عـــن كـــل فهـــم بما أظهرت من وسم ورســـم
فإن تطلب ترى صفتي مع اسمي فلا تنظر بطرفك نحو جسمي
وَعَدِّ عن نعيم بالمغاني
وللطِّلَسْـمِ فـــي العينَينْ كـــسِّـــرْ وحـــقـــقْ سرّ معنـــائي وحـــرِّرْ
وللمسجـــور مـــن بحري فبحّـــرْ وغصْ في بحر ذات الذات تبصرْ
عجايب ليس تبدو للعيان
فـــإن شـــاهدتني فـــي كـــل ذات باسمـــآي عيانـــا في صفاتـــي
ستفهـــم مـــا خفي فـــي الكاينات وأســـرار تـــرآت مبـــهـــمـــات
مستَّرةً بأرواح المعاني
فعند شهـــودك الأســـرار منهـــا فلا تك غائبا فـــي الكون عنهـــا
ووَحّـــدْ واتّحـــدْ كيمـــا تكُنْهـــا فمـــن فهـــم الإشارة فليصنْهـــا
و إلا سوف يُقتل بالسنان
فمـــن أوْرَى زناد الحـــق رُدَّتْ حقيقتـــه وعنـــه البـــاب سُـــدّتْ
وكعبتـــه بفـــاس الشرع هُـــدّتْ كحـــلّاج المحـــبّـــة إذ تـــبـــدّتْ
له شمس الحقيقة بالتداني
فلـــمـــا إن دنـــا منهـــا تدلّـــى وبالاســـم العظيم قـــد تجلّـــى
تـــوحّد عنـــد ذاك و مـــا تولّى فقـــال أنـــا هو الحقّ الذي لا
يُغيّر ذاتَه مرُّ الزمان

***

ب – قصيدة في الإسناد

أرى طالباً منّا الزيادة لا الحُسْنى بفكر رمى سهماً فعدّا به عَدنا
فنحـــن كدود القزّ يحصرنا الذي صُنعنا بدفع الحر سجناً لنا منّا
وتـــيـــمَّ أرباب الهرامس كلّهـــم وحسبك من سقراط أسكنه الدنا
وجـــرّد أمثـــال العوالم كـــلهـــا وأبدى لأفلاطون في المثل الحسنا
وهام أرسطو أو مشى من هيامه وبثّ الذي ألقى إليه وما ضنّـــا
وكان لذي القرنَيْن عوناً على الذي تبدا به وهو الذي طلب العينـــا
ويفحص عن أسباب ما قد سمعتم وبالبحث عَطّى عين إذ ردّه عينا
وذّوق للحلاج طعـــم اتـــّـحاده فقال أنـــا مـــن لا يحيط بـــه معْنى
فقيل له أرجع عن مقالك قـــال لا شربت مُداماً كلّ من ذاقها غـــنّـــى
وانطـــق للشبلي بالوحـــدة التي أشار بها لمّا محا عنده الكـــونـــا
وأظهر منه الغافقي لما جنـــى وكشط عن طواره الغيم والدجنـــا
وبيّن أسرار العبودية التـــي عن أعرابهم لم يرفع اللبس واللحنا
كشفنا غطاء من تداخل سرّها فأصبح ظهرا ما رأيتم له بطنـــا
هدانا لدين الحقّ من قد تولّهَتْ لـــعـــزته ألـــبابـــنـــا وله هُدنا

فمن كان يبغي السير للجانب الذي   تقــدّس يأتي الآن يأخذه عــنّــا

***

4 – يافي

سلامٌ على قومٍ شموس هدىً غدا   بهم في الهوى سكر إلى حشرهم غدا
أدار عليهم كــأس راح محبّــــةٍ   جمالٌ سقى الأحباب لــمـــا لهم بــدا
به هام بعضٌ في الُرّءى وبعضهم   به وله ظنّوا حــبــوبــاً فَــقُــيّــدا
وبعض من الأكوان بانَ وبعضهم   به جــاوز الإسكارُ حدّاً فَــعَــرْبَــدَا
فسلّ عليه الشرع سيفاً حمى به   حدوداً فرا الحلّاج مــاض ٍمــردَّدا
فمات شهيداً عندكم من محقق   وكم عندكم يخرج عن القوم ملحدا
ولكن فتى بسطام موقى بحاله   حمى عن عنايات عزيزاً ممجَّــــــدا

***

5 – حريفش مكّي: قصة الحلاّج

الخمرُ دِنّي ودِن الخمر ريحانـــي   ومجلس الذكر تسبيحي وعيدانــي
ما يشرب الخمر إلّا من يكن بَطَلٌ   ويطلق النوم لم تغمض له أجفاني
طلّقتُ نومي ولم اسلا حلاوتــه   حتّى بقي جفن عيني ساهراً فاني
أنا الحسين أنا الحلّاج يا فقّــراء   ذوبّتُ سندانَهم من عظم برهــاني
أنا الذي شاع ذكري بالملا الأعلى   حلجتُ قطني بتقــواي وإيمــاني
الباز الأشهبْ أتى نحوي صافحني   والأولياء أتت مــن أرض جيلان
شربت من خمرة عن بكرة مُزِجَت   شِبه العروس انجلت في وسط بستان
ابن الرفاعي رقا وقتاً بها وعلا   وابن أدهم سيّبْ مُلكــه الفــانــي
افتوا علّي وقالوا قد طغى و بغى   حاشا من البغي لكن صرتُ ربّانــي
طلّع المؤدّنْ يودّنْ قلت ما حكيتْ   انّي سمعت لديك العرش بــآذاني
من خاض بحر الهوى من غير معرفة   يبلعه الحوتُ يبقى يــونس الثانــي
من خاض بحر الهوى يُخْرِجُ جواهرها   ألا ينادي عليه يا بطّــال كسلاني
من باع دُرّاً إلى الفحام ضَــيَّـــعْهُ   الدر ينباعُ بالقسطاس يا أخواني
لا تَخْدَعَنَّ قليل الأصــل تظّــلمه   وأغلــظّ عليــه طوعــاً بإذعــان
أنّ الحديدَ تــذيب النــار قــوّتــه   و لو سكبتَ عليه البحــر ما لانِ
يا طالب النصرَ من أعداك مُتْ كَمداً   كطالب الشُهْــدَ من أنياب ثعبان
يا قــارئ العلم بيــن الجاهلين خَطــأ   كواقد الشمع في قاعات عميان
يا واضع السرّ مع مــن ليس يكّتمــه   كواضع الريح في أكمام عريان
من باح بالسرّ كــان القتــل شيمته   بين الرجال ويُضحى اليوم خجلانِ
شدّوا وثــاقي وقــالوا اقتلونّ لـــــه   حلّاج حلّاج أنت في البلدْ زانـــي
واللهِ واللهِ والــرحــمن خــالقنـــا   لولا يقولوا دعــا الحلاج بهتــانِ
أصيح فيهم كما صاح الفَتَى البَـدَوي   وأهدم بغداد ما خلا لــهــا اركــانِ
لكن سمعــت رجــال الله قــائلـــهْ   فمُتْ شهيداً كما ماتْ ابــن عفــانِ
والخضــر واقــفْ قبالي لا يكلّمــني   والأربعين يقولــوا هكــذا كــانــي
حتّى أتى القطب والأقطاب تــتبعه   ثلاث مائةٌ وهــم يتلــون قــرآنـــي

أنا مكتَّفْ وسيف الشـــرع يلفحْنـــي   سبعين مرّةْ بـــأذن الله مـــا ذانـــي
صرختُ بالسيف قال السيف ألفْ نعمْ   لبّيك لبّيك يا حـــلاجُ يـــا دانـــي
و هـــذه قصّة الحلّاج قـــد فـــرِغَـــتْ   هـــم أحرقـــوه وكـــانوا الكل عميانِ
بعـــد الصلاة علـــى المختار سيّدِنـــا   خير البريّة بُعثْ مـــن نسْـــل عدنانِ
والمسلمين عليهـــم دائمـــاً ابَـــــداً   منّي سلامٌ فـــهمْ أهلي و جيرانـــي